الاستطلاع العسكري في عصر النبوة والخلافة الراشدة

م. م. عروبة حاتم عبيد
المديرية العامة لتربية بابل
معهد إعداد المعلمات الصباحي

المقدمة

إن دراسة التاريخ العسكري العربي الإسلامي له أهمية خاصة؛ لأن النظم العسكرية تشكل جانباً مهماً من جوانب الحضارة العربية الإسلامية، وأيضاً لأن العرب أسهموا إسهاماً كبيراً في تطوير فنون الحرب والقتال، ففي عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشكّلت النواة الأولى للجيش العربي الإسلامي الذي كان أساسه المهاجرين والأنصار، ومن هنا بدأت عملية إعداد المقاتلين وإرسالهم إلى ميادين القتال؛ لذا جاء هذا البحث ليُعطي صورة واضحة عن هذا الميدان الذي أخذ بالتطوّر منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى نهاية العصر الراشدي. بل استمر بدوره إلى يومنا هذا.

أما المنهجية المتّبعة في هذا البحث فهي تعتمد على التحليل والاستنتاج والتأمّل عند قراءة النصوص التاريخية، لما لهذا التحليل من أهمية قصوى في إبراز الحقائق التاريخية. وقد قام الباحث بترتيب هذه المنهجية بحسب الغرض الموجب لحملات الاستطلاع. وقد تمّ تقسيم البحث على ثلاثة مباحث رئيسة.تضمّن المبحث الأول المعنى اللغوي والاصطلاحي للاستطلاع، والشروط الواجب توافرها في قادة الاستطلاع، كما تضمّن الاحتياطات اللازمة لحملات الاستطلاع، ويدور المبحث الثاني حول الاستطلاع في عصر النبوة، وتضمّن جانبين، الجانب الأول: استطلاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجاه المشركين، والجانب الثاني: استطلاع المشركين تجاه المسلمين. تمّ ترتيب هذه الحملات حسب غاياتها المكلّفة بها. أما المبحث الثالث فقد تناول فيه الباحث الاستطلاع في عصر الخلافة الراشدة. اعتمدنا في هذا المبحث على الخطب التي دارت بين الخلفاء الراشدين وقادتهم، بوصفها الأساس في فهم سياسة الخليفة تجاه القادة.وأفدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر والمراجع، ومن جملة المصادر، كتب السيرة مثل السيرة النبوية لابن إسحاق والسيرة النبوية لابن هشام، وكذا كتب التراجم مثل كتاب الاستيعاب لابن عبد البر والإصابة لابن حجر، ومنها أيضاً كتب اللغة مثل كتاب العين للفراهيدي وتهذيب اللغة للأزهري. ولم يخل البحث من المراجع، فكان كتاب شرح نهج البلاغة للشيخ محمد عبدة والرسول القائد لمحمود شيت خطاب من أهم المراجع التي وافتنا بمعلومات قيمة عن هذا الموضوع، فضلاً عن العديد من المصادر والمراجع التي سنذكرها بالتفصيل في نهاية البحث. أرجو أن أكون قد وفقت في بحثي هذا والله ولي التوفيق.

المبحث الأول

التعريف بالاستطلاع العسكري

المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ (الاستطلاع):

الاستطلاع لغةً مأخوذ من المُطَّلع وهو: اسم من اطَّلع على الشيء، إذ عليه، واطَّلع على الأمر يطَّلع طُلوعاً واطَّلع عليه اطّلاعاً واطلعه وتطلّعه عَلِمه، وطالعه إيّاه فنظر ما عنده[1]. والطليعة: القوم يُبعثون لمطالعة خبر العدو، والواحد والجمع فيه سواء، وطليعة الجيش: الذي يطَّلع من الجيش يُبعث ليطلع طلع العدو[2]. ويُقال الطلائع: وهم القوم الذين يُبعثون ليطلعوا طلع العدو كالجواسيس، والاستطلاع النظر ما هو[3]. وعلى هذا يكون لفظ عين مرادفاً للفظ الاستطلاع، كقوله بعثنا عيناً؛ أي يأتينا بالخبر[4].والمراد في الطليعة اصطلاحاً هي: "مجموعة من الجند، يُنتخبون ممّن تتوفر فيهم جرأة وشجاعة وتيقّظ وصرامة، واجبهم إذكاء العيون واستطلاع الأخبار، الغرض منها إفشاء الغلبة وإظهار السرور"[5]. وورد هذا المصطلح لدى الباحث محمود شيت خطاب، إذ قال فيه: "هي دوريات واجبها جمع المعلومات عن قوة العدو وتسليحه وعن الأرض، وهي نوعان: دوريات استطلاعية واجبها الحصول على المعلومات دون قتال، لذلك تكون صغيرة العدد سريعة الحركة، ودوريات قتالية

---

(1) ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، (دار المعارف، القاهرة، د. ت)، ج٤، ص٢٦٩٠؛ الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم إبراهيم وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م)، ج٢١، ص٢٤٦.

(2) الجوهري، إسماعيل بن حمّاد: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أميل بديع يعقوب وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م)، ج٣، ص٥٣٦.

(3) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، (مؤسسة أسوة، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ)، ج٢، ص١٠٨٨.

(4) عباد، الصاحب إسماعيل: المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، (دار الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م)، ج٢، ص١٦٠.

(5) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري: عيون الأخبار، (دار الكتاب العربي، بيروت د. ت)، م١، ج٢، ص١١٢ – ١١٣.

واجبها القتال، لذلك تكون قوية في عددها وعدّتها"[1]. وقد ورد ذكر الاستطلاع في القرآن الكريم، قال تعالى {... هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ...}[2]، أي نظر إلى عدوه[3]. أضاف الرازي إلى كون الاطّلاع في الآية القرآنية الواردة ذكرها هو التكليف بأمر الاطّلاع [4].

مهام الدوريات الاستطلاعية:

إن استكشاف أخبار العدو قبل بدء القتال يتطلّب عدّة أمور، منها: اختبار أرض المعركة، والتعرّف على مواقع العدو، وجمع المعلومات الممكنة عنه. ويضمن سلامة الطريق الذي يسلكه من كمينٍ مُعدٍّ له[5]. هذا يعني أن حملة الاستطلاع تعني دراسة جميع الإمكانات المادية والمعنوية المهيّأة من قبل العدو مثل معرفة القبائل المشاركة، العدد، حملة الرايات، التسليح، وبالمقابل يأخذ الجيش المستطلع هذه الإمكانات بالحُسبان قبل دخول المعركة. ولم تكن حملات الاستطلاع حصراً بالبر، فقد خاض الجيش الإسلامي استطلاعاً بحرياً، إذ كانت حملة طريف بن مالك المعافري الاستطلاعية[6] دليلاً واضحاً على أن المسلمين خاضوا حملات الاستطلاع في البر والبحر.

الشروط الواجب توافرها في قادة الاستطلاع:

بما أن الاستطلاع عملية هامة وضرورية قبل بدء المعركة لتحديد آلية الهجوم على العدو، فلا بُدَّ من توافر شروط فيمن يقود الحملة الاستطلاعية، يتّضح ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إني لأمر الرجل على القوم فيهم من هو خير منه لأنه أيقظ عيناً وأبصر بالحرب"[7]. وفي هذا الصدد قال الخليفة عمر بن الخطاب في وصية له لقائده أبو عبيدة الجراح[8]: "... وأشركهم في الأمر، ولا تجتهد مسرعاً حتى تتبيّن؛ فإنها الحرب، والحرب لا يصلحها إلاّ الرجل المكيث[9]..."[10]. فيما قال ابن قتيبة: "يجب أن يكونوا أصحاب جرأة وشجاعة وتيقّظ وصرامة وليس لهم أنين ولا سعال ولا عطاس"[11]. يُدلّل هذا على التزام السرية في الحملة الاستطلاعية ممّا يستوجب عدم إظهار أي صوت. وأضاف ابن قتيبة قائلاً: "أن أصلح الرجال لهذه المهمة المُجرّب الشجاع الناصح"[12]. ويجب على قائد السرية أن يطالع أعماله بنفسه، ويعتمد على ثقات من تبعه، وأن يتيقّظ تيقّظاً يزيد الريبة في نفوس العدو، ويمنع الغفلة، والهدف من هذا هو الحذر من جواسيس العدو وعيونه[13]. وعلى هذا الأساس ذكر منكلي شروطاً لمن يقود الاستطلاع بقوله: "إجادة الفكر فيما يُراد فعله، أن تكون محبة خالصة لله، صادقاً، باذلاً نفسه للذي استشاره، لا يذيع سر من استشاره، ولو جُبر، وأن تكون عنده خبرة فيما يستشار به، جملةً وتفصيلاً"[14]. أضاف منكلي قائلاً: "... وأن يكون عارفاً بمواقع الحروب وترتيب العساكر، وأن يكون عارفاً بلغة أهلها... "[15]. يتضح ذلك من خلال تكليف الرسول صلى الله عليه وآله

---

(1) الرسول القائد، (مكتبة الحياة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م)، ص٥٣.

(2) سورة الصافات: آية رقم (٥٤ – ٥٥).

(3) الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر الحرستاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م)، ج٢٣، ص٧٢؛ أبن كثير، أبو الفدا إسماعيل الدمشقي: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م)، ج٤، ص١٠.

(4) محمد بن عمر بن حسين القرشي: التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م)، ج٢٦، ص٣٣٤.

(5) عون، عبد الرؤوف: الفن الحربي في صدر الإسلام، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م)، ص٢١٧.

(6) يُنظر عن هذه الحملة: ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وآخرون، (دار الثقافة، بيروت، د. ت)، ج٢، ص٤ – ٥؛ المقري، أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٤٩م)، ج١، ص٢١٤.

(7) ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة: السيرة النبوية، تحقيق: علي عاشور الجنوبي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م)، ج٢، ص١٨.

(8) هو أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح، من عليّة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، هاجر إلى الحبشة، وشهد بدراً والخندق والمشاهد كلها، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمين هذه الأمة، مات سنة ثماني عشرة من الهجرة – ابن سعد، محمد بن منيع البصري الزهري: الطبقات الكبرى، تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت – الطبعة الأولى، ١٩٩٥م)، ج٣، ص٢١٨.

(9) المكيث: الرزين الذي لا يعجل في أمره – الأزهري، محمد بن أحمد: تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م)، ج٣، ص١٦٧.

(10) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م)، ج٢، ص٢٨.

(11) عيون الأخبار، م١، ج٢، ص١١٢.

(12) المصدر نفسه، م١، ج٢، ص١١٥.

(13) ابن قدامة، قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي: الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، (دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م)، ص٤٥، ٥٠.

(14) محمد بن نظام الدين: الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق: محمود شيت خطاب، (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨م)، ص١٥٨، ١٦٠.

(15) الأدلة الرسمية، ص٢٣٥ – ٢٣٧.

وسلم زيد بن ثابت[1] بتعلّم لغة اليهود وكتابتهم فتعلم[2]. ومن هنا يتبيّن أن القواعد الرئيسة للفن الحربي الإسلامي قد بدأت في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بدليل توجيه الأمر إلى زيد لتعلّم اللغة، وهذا أمر غير وارد قبل الإسلام، وبناءً على هذا فقد كان المغيرة بن شعبة[3] ترجمان الجيش العربي الإسلامي في فتوحاته مع الفرس، إذ كان على معرفة بلغة أهل فارس[4]. وعلى النقيض من ذلك، فإن السبب الرئيس في المشاكل التي واجهها الجيش العربي الإسلامي في فتوحاته مع الروم هو عدم معرفة لغتهم[5]، بينما كان للروم عيوناً يفقهون كافة اللغات[6]. من هنا يتبيّن أن معرفة اللغة أمراً أساسياً بالنسبة للطليعة، ويبدو أن الهدف من ذلك الاستغناء عن السؤال كي لا ينكشف أمرهم.

الاحتياطات اللازمة لحملة الاستطلاع:

هناك جملة من الاحتياطات التي يجب مراعاتها عند القيام بدورية استطلاعية، منها أن لا يكون معهم ما يثقلهم أو يعيقهم عن الحركة كالدروع[7] والتروس[8]. وأن يتحاشوا إثارة الغبار في سيرهم لئلا ينكشف أمرهم من قبل أرصاد العدو[9]. والدليل على ذلك رفض عمرو بن العاص[10] رغم شدّة البرد إيقاد النار في غزوة ذات السلاسل[11] من أرض الشام[12] التي حدثت سنة ثمان من الهجرة[13]. إن اتخاذ هذا الإجراء من قبل عمرو بن العاص يؤكّد حرصه التام على السرية، وعلى الحيطة والحذر خوفاً من انكشاف أمرهم. يُضاف إلى ذلك، فقد كان للعرب قدرة على تحديد عدد الجيوش الغازية، وذلك من خلال متابعة آثار الغبار المُتخلّف من سير الخيول، مثال على ذلك ما حدث في إحدى الليالي، إذ خرجت طليعة من الجيش الإسلامي في جبهة الشام، إذ نظرت إلى غبار طلع إلى عنان السماء، ومن خلال دراسة آثار الغبار عرف المسلمون أن هذا الجيش جرّار؛ لأن الخيل إذا داست بحوافرها أرتفع الغبار، وانكشف الجيش، وإذا هو بعشرة آلاف فارس ومعهم الأعلام[14]. وفي حالة حاجة الطليعة الصعود إلى مرتفع لغرض الرصد صعد بعضهم وبقي البعض الآخر؛ وذلك لغرض منع التفاف العدو حولهم. أما في حالة سير الطليعة فيجب أن لا يتجاوزوا في سيرهم أكثر من ثلثي الطريق بينهم وبين العدو، وينبغي وجود إشارات مُتّفق بين من يأتي بالخبر من الطلائع وبين قائد العسكر يُفهم منها مقاصده[15]. والدليل على ذلك كان شعار غالب بن عبد الله الليثي[16] في سريته[17] التي بُعث بها في السنة الثامنة من الهجرة (أمِتْ أمِتْ)[18].

---

(1) هو زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد بن لوذان... الأنصاري، أبو خارجة المدني، كان من كتّاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ كان يكتب له الوحي، وكان من أصحاب الفتوى – ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني: تهذيب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م)، ج٣، ص٣٤٨.

(2) عون: الفن الحربي، ص٢١٣.

(3) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر الثقفي، من دهاة العرب، أسلم قبل عمرة الحديبية، شهد فتوح الشام والعراق، ولاّه الخليفة عمر بن الخطاب البصرة، ثمّ ولاّه الكوفة، ثمّ أمّره الخليفة عثمان بن عفان عليها ثم عزله، مات سنة خمسين من الهجرة– العصفري، خلفية بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م)، ص٨٧، ١٣٣؛ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٤٦١؛ ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: حسان عبد المنان، (بيت الأفكار الدولية، عمان، ٢٠٠٢م)، ص١٢٨٠.

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٨٨.

(5) الواقدي، محمد بن عمر بن واقد: فتوح الشام، (دار الجيل، بيروت، د. ت)، ج١، ص٢٦٨.

(6) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٥.

(7) الدرع: سلاح قديم وهو ثوب ينسج من حلقات حديدية متداخلة، يلبس على القسم العلوي من الجسم (الصدر والظهر) – ابن سيدة، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي: المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، (دار التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٤٥.

(8) الترس: آلة دفاعية تتكون من صفيحة من الجلد أو الخشب أو الحديد، يحملها الفرسان أو الرجالة لحمايتهم من سيوف الأعداء – الحنفي، أحمد بن محمد الحموي: النفحات المسكية في صناعة الفروسية، تحقيق: عبد الستار الفرغلي، (بغداد، ١٩٥٠م)،ص٤٥.

(9) ابن قتيبة، عيون الأخبار، م١، ج٢، ص١١٥.

(10) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم... القرشي السهمي، كان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، أسلم سنة ثمان قبل الفتح، وقيل: أسلم بين الحديبية وخيبر، عمل لعمر وعثمان ومعاوية، مات وهو أمير على مصر سنة ثلاث وأربعين من الهجرة– ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م)، ج٢، ص١١٨٤، ١١٨٧.

(11) ذات السلاسل: جمع سلسلة، موضع ماء بأرض جذام– البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: محمد علي البجاوي، (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م)، ج٢، ص٧٢٤.

(12) أرض الشام: هي الأرض الممتدة من الفرات إلى العريش طولاً وعرضاً من جبلي طيء إلى بحر الروم، وبها أمهات المدن: منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق وبيت المقدس، وفي سواحلها عكا وصور وعسقلان، وبها خمسة أجناد هي قنسرين، حمص، دمشق، الأردن، فلسطين، وطولها نحو عشرين يوماً– البغدادي: مراصد الإطلاع، ج٢، ص٧٧٥ – ٧٧٦.

(13) الواقدي: كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م)، ج٢، ص٧٧٠؛ اليعقوبي، أحمد بن إسحاق بن جعفر بن واضح: تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل منصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م)، ج٢، ص٤٩؛ ابن عساكر: السيرة النبوية، ج٢، ص١٦.

(14) الواقدي: فتوح الشام، ج٢، ص٢٣٠.

(15) فرج، محمد: المدرسة العسكرية الإسلامية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ)، ص٢٩٠.

فيما ذكر الجوزي أن سرية زيد بن حارثة[1] قد استعملت هذا الشعار[2]، والشعارات في هذا المجال كثيرة جداً، القصد منها هنا إبراز مثال لسرية الحملة الاستطلاعية.أما فيما يخص الخيول المستعملة في حملات الاستطلاع، قال ابن قتيبة: "يجب أن تكون سالمة الظهر والحوافر، وتُختار مما لا يصهل ويغنث[3] وسريعة"[4]. من هذا يتبين أن هدف الدورية هو الحصول على المعلومات وإيصالها بسرعة فائقة وذكاء بارع ودقة متناهية. يتبيّن من خلال دراسة هذا المبحث أن الاستطلاع قد وجد في العصر الجاهلي، ولكن القواعد الرئيسة لهذا الفن الحربي قد بدأت في عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من حيث وضع القواعد التي تشمل اختيار القادة والواجبات التي يُكلّفون بها، كما ويشمل أيضاً الخطوات العملية التي يجب أن يتخذها القادة عند القيام بحملة استطلاع.

المبحث الثاني

الاستطلاع العسكري في عصر النبوة

استطلاع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقريش:

ليس من المعقول أن تكون المؤسسة العسكرية في الإسلام قد وجدت فجأة ودونما سوابق؛ فقد كانت مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسراياه تعتمد عناصر النجاح التي ابتكرها العرب قبل الإسلام، هؤلاء العرب قد منحوا الإسلام جيلاً تميّز بقدرة قتالية، وفنون حربية جعلته ينتصر على الجيوش الأكثر منه عدداً وعدّة. وقد قال فيهم ابن خلدون: "... فهم دائماً يحملون السلاح ويتلفتون عن كل جانب في الطريق... ويتوجسون..."[5].ومن الفنون الحربية المتّبعة عند العرب قبل الإسلام هو الاستطلاع، ذلك النظام الذي اشترك فيه الرجال والنساء في جمع الأخبار وتزويد أقوامهم بها، كما استعملوا الرمزية في توصيل أخبارهم وإنذار قومهم، وكانوا يرسلون أمامهم من يستطلع ليتعرّف أخبار العدو، ويخبرهم بها، بالإشارة أو المباشرة[6]. وقد ذكر ذلك ابن الأثير بشكل واضح في يوم البردان[7]، إذ قام بنو شيبان[8] بهذه المهمة الاستطلاعية في اليوم المذكور[9].

وقد عرف هؤلاء العرب الحيلة والخدعة وإذكاء العيون والكمائن، التي عن طريقها يمكن تقدير نقاط قوة العدو ومواضع ضعفه، وعلى هذا الأساس يرتّب القادة طريقة مباغتة العدو ومحاربته[10].إلاّ أن العرب قبل الإسلام لم يكونوا يسيرون على نظام معين في تكوين الجيوش وفي عدد وحداته، إذ كانت عملية أمر القتال والتخطيط له يجري في مجلس القبيلة الذي غالباً ما ينعقد في بيت شيخ القبيلة، ويضم زعماء البطون[11].وكانت

---

(1) هو غالب بن عبد الله الليثي ويُقال الكلبي، بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الفتح ليُسهّل له الطريق– ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٢٥.

(2) السرية: قطعة من الجيش تسري ليلاً، لئلا ينذر بهم العدو فيحذروه، وهي من خمس أنفس إلى ثلاثمائة أو يبلغ أقصاها أربعمائة، فما زاد عن ثمانمائة فجيش. سُمّوا سرية؛ لأنهم يكونون من خلاصة العسكر وخيارهم– ابن منظور: لسان العرب، ج٢، ص٢٠٠٢.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٢٧.

(4) هو زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبي، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، صحابي جليل ومن السابقين الأولين، كان أميراً في كل سرية بعثه بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، استشهد سنة ثمان من الهجرة في مؤتة من= =أرض الشام– ابن قانع، عبد الباقي البغدادي: معجم الصحابة، تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، (دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م)، ج٥، ص١٧٠٣.

(5) عبد الرحمن بن علي بن محمد: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م)، ج٣، ص١٠١.

(6) الغنث: شرب الماء ثم التنفس، والقصد هنا هو عدم إظهار صوت من الخيول وهي تشرب الماء– الفراهيدي: العين، ج٢، ص١٣٥٨.

(7) عيون الأخبار، ج١، م١، ص١١٣.

(8) عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م)، ص٢٧٧.

(9) ابن المثنى، أبو عبيدة معمر: النقائض، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، (القاهرة، ١٩٣٥م)، ج٢، ص١٣.

(10) البردان: جبل مشرف على وادي نخلة قرب مكة– الحموي، ياقوت بن عبد الله البغدادي: معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م)، ج١، ص٣٧٥.

(11) بنو شيبان: هم قبيلة من بكر بن وائل العدنانية، تميزوا بمعرفتهم للمسالك الواقعة بين الحجاز والعراق– ابن أعثم، أحمد الكوفي: كتاب الفتوح، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م)، ج١، ص٨٨.

(12) علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني: الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون سيحا، (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م)، ج١، ص٤٢٧.

(13) علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (مطبعة آوند دانتس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م)، ج٥، ص٣١٩، ٣٢٢.

(14) ابن حبيب، محمد البغدادي: المحبّر، تحقيق: ايلزة ليحتن شتيتر، (المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د. ت)، ص١٣٢.

قبائل معروفة تحتكر قيادة لواء الحرب وتتوارثه في بطونها كبني عبد الدار الذين كانوا يتمتعون بحمل اللواء حتى ظهور الإسلام[1]. هذا يعني أن النظام القبلي هو السائد في الفكر العسكري قبل ظهور الإسلام.

وجاء الإسلام ليضع الضوابط لهذا الفن الحربي، فلم يجعل القيادة وقفاً على الأشخاص، ولا على قبيلة معينة، وإنما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو القائد الأعلى للعمليات العسكرية، بوصفها الأساس في بناء الدولة العربية الإسلامية؛ فلا بُدَّ له صل الله عليه وآله وسلم من وضع الأسس وتثبيت القواعد لحضارة يُشكّل التنظيم العسكري جانباً مهماً من جوانبها. ومن هنا بدأ اهتمامه بعملية الاستطلاع، بوصفها الأساس في وضع الخطط الحربية، وفي تهيأة القادة لاستلام أمور القيادة العسكرية بعده؛ لذلك كان يُكثر من بث العيون والأرصاد للحصول على أكبر قدر من المعلومات، ومن هذا المنطلق، فقد كان السبّاق في هذا المجال، إذ قاد حملات الاستطلاع بنفسه.

ففي السنة الثانية من الهجرة وقبل واقعة بدر الكبرى[2]، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مستصحباً معه أبو بكر الصديق، فوقف على شيخ من العرب بالقرب من الموضع المذكور، فسأله عن قريش، فأجاب بعد امتناع: " بلغني أن محمداً وأصحابه خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني، فهو اليوم بمكان كذا وكذا، وللمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وبلغني أن قريشاً خرجوا يوم كذا وكذا، فإن كان الذي أخبرني صدقني فهم اليوم بمكان كذا وكذا، وللمكان الذي فيه قريش"[3]. من هنا يتضح أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يهدف من هذا الاستطلاع إلى تحديد موعد قدوم القافلة التجارية، ولهذا الغرض فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي السنة الثانية من الهجرة أيضاً علي بن أبي طالب عليه السلام، والزبير بن العوام[4]، وسعد بن أبي وقاص[5]، يلتمسون الخبر، فأصابوا راوية[6] لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فسألوهما ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قائم يصلي: أخبراني عن قريش ؟ قالا: هم وراء هذا الكثيب.. فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كم القوم ؟ قالا: كثير، قال: ما عدّتهم ؟ قالا: لا ندري، قال: كم ينحرون ؟ قالا: يوماً تسعاً ويوماً عشراً، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: القوم فيما بين التسعمائة والألف[7].

من خلال دراسة النصين الآنفي الذكر نلاحظ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جهد على أن يكون هو النموذج الحي لحملات الاستطلاع، إذ قاد الحملة الأولى بنفسه مستصحباً معه من يتولى قيادة المسلمين بعده، كي يكونوا على معرفة تامة بالخطوات العملية لحملات الاستطلاع؛ ليس هذا فحسب، بل جرت الحملة الثانية تحت أنظاره، وذلك من أجل إعداد القادة لتحمّل هذه المسؤولية، وليكونوا النموذج الحي فيما بعد حياته، هذا وقد تضمن الاستجواب في النصين الآنفي الذكر تحديد موعد قدوم قافلة قريش التجارية وعددها وعدّتها؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن هذه الأسئلة هي من أهم التحضيرات التي يجب أن يدرسها القائد العسكري قبل دخوله المعركة. وعلى غرار ذلك وفي السنة الثانية من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسبس بن عمرو[8] وعدي بن أبي الزغباء[9] يتجسسان، فنزلا بقرب ماء بدر، فسمعا جاريتين من الجواري في الموضع

---

(1) البلخي، أحمد بن سهل: البدء والتاريخ، تحقيق: خليل عمران المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م)، ج٢، ص٤٢.

(2) بدر: ماء عين يمين طريق مكة، بينها وبين المدينة ثمانية وعشرين فرسخاً- البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م)، ج١، ص٢١٣ – ٢١٤.

(3) ابن هشام، عبد الملك المعافري: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م)، ج٢، ص٢٦٧ – ٢٦٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٣، ص١٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٠٧.

(4) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وأمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، كان إسلامه رابعاً أو خامساً بعد أبي بكر، وهو أول من سلّ سيفاً في سبيل الله، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها، قتل يوم اليرموك- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٤ – ٥٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٥١٠، ٥١٢.

(5) هو سعد بن أبي وقاص، واسم أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف، وأمه حمنة بنت سفيان بن أمية، أسلم ثالثاً في الإسلام وهو ابن سبع عشرة سنة، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم أحد: " فديً لك أبي وأمي ". كان فارس الإسلام، شهد بدراً والحديبية، وكان يحرس النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مغازيه، وكان أميراً على الجيوش الذين هزموا الفرس بالقادسية، وفتح مدائن كسرى بالعراق، وبنى الكوفة ووليها، مات سنة خمس وخمسين من الهجرة- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٧٣ – ٧٤، ٧٩؛ ابن قانع: معجم الصحابة، ج٥، ص١٨٠٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٦٠٧.

(6) الراوية: الذي يقوم على الدواب- الفراهيدي: العين، ج١، ص٧٢٩.

(7) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٨ – ٢٦٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٣، ص١٠١؛ ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق: محمد غازي بيضون وآخرون، (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣م)، ج٣، ص٢٨٠.

(8) هو بسبس بن عمرو بن ثعلبة بن خرشة... بن قيس بن جُهينة، يقال هو حليف الخزرج، ويقال هو حليف الأنصار، شهد بدراً وأحد، وليس له عقب- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٨٦؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص١٩٠؛ ابن حجر: الإصابة، ص٢٨٨.

المذكور تتخاصمان بسبب ديناً بينهما، فقالت إحداهما للأخرى: إنما تأتي العير[2] غداً أو بعد غد، فأعمل لهم ثم أقضيك، فعاد المبعوثين إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبراه الخبر[3]، ويبدو أن الغرض من هذه الحملة هو اختبار أصحابه[4] من استيعاب مهام حملات الاستطلاع.

بعد أن يتم تحديد العدد وموعد قدوم القافلة، كان لا بد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خطة مُحكمة تمنح بموجبها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرية نشر الدين الإسلامي دون تعرّض قريش له؛ لذا فقد فكر في فرض حصار اقتصادي على قريش، وعلى غراره فقد بعث طلحة بن عبيد الله[5] وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل[6] إلى طريق الشام يتجسسان الأخبار، ثم رجعا إلى دماها يوم وقعة بدر[7]. ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اعتمد على التجار بوصفهم من الفئات التي لا يمكن لأحد أن يفكّر بأنها تخوض غمار الاستطلاع العسكري، وبهذا يمكن لهم التغلغل إلى داخل القوافل التجارية القريشية ومعرفة أخبارهم بحرية وأمان.وعلى هذا الأساس بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن أبي وقاص في دورية استطلاعية بقوة ثمانية مهاجرين، وذلك للوصول إلى الخرار[8] لتهديد طريق قريش التجارية بين مكة والشام[9]. هذا وقد ذكر ابن هشام أن بعث بسبس وعدي الآنفي الذكر، كان سببه فضلاً عمّا ذكر، جمع معلومات عن قافلة قريش التجارية[10].ولمّا أحسّت قريش بأن طريق مكة – الشام يهدد تجارتها عمدت إلى تغييره، فسلكت طريق العراق بدلاً من الشام، وعلى هذا أرسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غرارهم زيد بن حارثة يستطلع الطريق الذي يسلكون، وقد حدث ذلك بعد وقعة بدر، أي في السنة الثالثة من الهجرة[11]. وقد توالت حملات الاستطلاع من أجل فرض الحصار الاقتصادي، فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبو عبيدة عامر بن الجراح في السنة الثامنة من الهجرة إلى سيف البحر[12]؛ وذلك من أجل رصد تجارة قريش[13].

يتضح لنا من خلال النصوص السابقة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حاول تطبيق الحصار الاقتصادي كونه سلاحاً عسكرياً فاعلاً، مما أثر سلباً على تجارة قريش؛ لأن التجارة هي حرفتهم الأولى وأن حياة قريش بحياة تجارتها؛ فأراد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تهديدها، ليفكروا جادين في تأمينها؛ وذلك بالاتفاق الودي مع المسلمين فيضمنوا لتجارتهم مدة طويلة من السلام، وفي الوقت نفسه يتمكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نشر دعوته بين الناس بحرية وأمان دون اللجوء للحرب، وهذا يخالف ما ذكره المؤرخين من أن السبب الحقيقي وراء غزوة بدر هو محاولة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الاستيلاء على الإبل التي تحمل أموال قريش من أجل تعويض خسائر أصحابه المهاجرين من مكة إلى المدينة[14]. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لو نظرنا إلى الطريق بين مكة والشام لوجدنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وطأت أقدامه

---

(1) هو عدي بن أبي الزغباء، واسم أبي الزغباء سنان بن سبيع، شهد بدراً وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مات في خلافة عمر بن الخطاب- ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٢٥٨؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٠٥٩.

(2) العِير: الإبل التي تحمل الميرة- الأزهري: تهذيب اللغة، ج٣، ص١٦٧.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٩؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٥؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م)، ج١، ص٣٠٢ – ٣٠٣.

(4) الصاحب: هو كل من صحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة أو شهراً أو يوماً أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه... وسمع منه ونظر إليه- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت: الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم، (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م)، ص٦٩؛ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن: فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تحقيق: علي حسين علي، (مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م)، ج٤، ص٧٧.

(5) هو طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب... القرشي التميمي، لم يشهد بدراً، إذ كان في تجارة إلى بلاد الشام، شهد أحد وما بعدها من المشاهد، قتل يوم الجمل- ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٧٦٤ – ٧٦٥.

(6) هو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل... القرشي العدوي، وهو ابن عم عمر بن الخطاب وصهره، وكانت زوجته أخت عمر بن الخطاب، أما أخته فكانت زوجة عمر بن الخطاب، وهو من المهاجرين الأولين، لم يشهد بدراً؛ لأنه كان غائباً في الشام، شهد بعدها المشاهد كلها، مات سنة خمسين أو إحدى وخمسين من الهجرة- ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٦١٤ – ٦١٥.

(7) العصفري: تاريخ خليفة، ص٣٥؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٦١٤ – ٦١٥، ٧٦٤ – ٧٦٥.

(8) الخرار: وادي بالحجاز، ويقال موضع غدير خم يُقال له الخرار- البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص١٢١.

(9) الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م)، ج١، ص٣٦.

(10) السيرة النبوية، ج٢، ص٢٦٩؛ وينظر: اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٠٦.

(11) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٥٣؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص٨٨.

(12) سيف البحر: هو سيف كل بحر ونهر، وليس موضع بعينه- البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص١٨٨.

(13) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٥٠.

(14) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٨؛ البلخي: البدء والتاريخ، ج٢، ص٧٣؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص٣٠١.

بلاد الشام مرتين وهو بين التاسعة والثانية عشرة من عمره، كما كان مسؤولاً عن تجارة زوجته السيدة خديجة بنت خويلد والتي وصل بها إلى بلاد الشام[1]. وهذا يعني أن هذا الطريق مدروس دراسة تامة من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بجميع مسالكه وممراته؛ ولكن يبدو أن القصد هنا هو تدريب أصحابه على استعمال الحصار كسلاح عسكري فعّال يؤدي إلى إنهاء الأزمات دون الخوض في غمار الحرب.

ومن الغريب جداً بعد كل حملات الاستطلاع هذه يأتي من المؤرخين من يقول إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم بمسير جيش قريش في السنة الثانية من الهجرة، وتحديداً في وقعة بدر، بناءً على ما تردد من أنباء تفيد بأن عمّه العباس هو الذي أذاع الخبر، فشاع هذا الخبر بمكة حتى وصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[2]. وهذا غير وارد، والدليل على ذلك ما جاء في وصية العباس لأخته عاتكة بكتم الرؤيا التي تنبأت بها قبل غزوة بدر بثلاث ليال والتي تضمنت عن قرب مواجهة عسكرية بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين قريش[3]. وفي ضوء ذلك فقد ذكر ابن سعد بأن العباس شهد بدراً مع جيش قريش وهو كافر[4]، فمن غير المعقول أن يكون العباس عيناً لصالح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في حين أنه سيشترك في جبهة قريش. والدليل الآخر أن العباس عندما أراد أن يُسلم، وذلك قبل الفتح، وتحديداً في السنة الثامنة من الهجرة، إذ هاجر من مكة إلى المدينة يريد لقاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحتى في هذه اللحظة حاول جاهداً أن يرسل لقريش خبر استعداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لفتح مكة[5]. إن هذه الأدلة الواردة أعلاه تدلل على أن الخبر لم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عمه العباس، بل كان العلم بمسير جيش قريش من خلال الحملات الاستطلاعية المُكثّفة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لم يغفل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السرية التامة في حملات الاستطلاع، فقد حاول جاهداً تدريب أصحابه على السرية وتطبيق مبادئها، وعلى هذا الأساس بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن جحش[6] في السنة الثانية من الهجرة أميراً على سرية مكونة من ثمانية مهاجرين إلى نخلة[7]، وكتب له كتاباً يأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثمّ ينظر فيه، فيمضي لما أمره به، وكان هذا الكتاب يحتوي على قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة... فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم "[8]. وبهذا يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد وضع القواعد العامة والأسس الثابتة لتنظيم حملات الاستطلاع؛ وذلك من أجل وضع الخطط الحربية، وبناءً على ذلك فقد توالت حملات الاستطلاع.

وفي السنة الثالثة من الهجرة وفي غزوة أحد[9]، تُعد رؤيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شاهداً على استطلاعه من قبل الله عزّ وجل، إذ رأى في سيفه ثلماً[10]. وعليه بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الصحابيان أنس وأخوه مؤنس ابنا فضالة بن عدي بن حرام... الظفري الأنصاري[11] بعد أن بلغه دنو قريش، يُريدون أُحد، فاعترضاهم بالعقيق[12] فسارا معهم، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبراه خبرهم وعددهم ونزولهم حيث نزلوا[13] وبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيضاً الحبّاب بن المنذر بن

---

(1) البلخي: البدء والتاريخ، ج٢، ص٤٥، ٤٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص٥٧، ٦٢.

(2) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٩؛ البلخي: البدء والتاريخ، ج٢، ص٧٣.

(3) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٨ – ٢٥٩؛ البلخي: البدء والتاريخ، ج٢، ص٧٣؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٣، ص٩٨.

(4) الطبقات الكبرى، ج٤، ص٣٢٣.

(5) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٨١٥؛ البلخي: البدء والتاريخ، ج٢، ص٩٧.

(6) هو عبد الله بن جحش بن رياب... بن خزيمة بن مدركة، أمه أميمة عمّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، خاله حمزة بن عبد المطلب، وهو صحابي جليل وأحد السابقين إلى الإسلام، استشاره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أسارى بدر، هاجر إلى الحبشة، ثمّ إلى المدينة، وشهد بدراً، استشهد يوم أحد وكان له نيف وأربعين سنة– ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٤٩؛ ابن قانع: معجم الصحابة، ج٩، ص٣١٩٣.

(7) نخلة: موضع بالحجاز قريب من مكة– الحموي: معجم البلدان، ج٥، ص٢٧٦.

(8) ابن إسحاق، محمد بن يسار المطلبي المدني: السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م)، ج٢، ص٦٧٥؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٥٢؛ اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٥.

(9) أحد: جبل تلقاء المدينة دون قناة إليها– البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص١٠٩.

(10) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٦٦ – ٦٧؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص٣٩١.

(11) ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص١١٢.

(12) العقيق: موضع ماء بالمدينة، فيه عيون ونخل– البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٢، ص٩٥٢.

(13) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٠٧.

الجموح[1] سراً إلى القوم وأبلغه أن لا يخبره شيئاً إلاّ أن يرى في القوم قلّة، فرجع إليه فوجده خالياً فأخبره بأنه قدّر عددهم بثلاثة آلاف، يزيدون قليلاً أو ينقصون، والخيل مائتي فرس، وأخبره بوجود دروعاً ظاهرة قدّرها بسبعمائة درع، وأخبره بأنه رأى النساء معهن الدفوف والطبول، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أردن أن يحرّضن القوم ويذكرنّهم قتلى بدر، هكذا جاءني خبرهم[2]. تؤكّد هاتان الحملتان على معرفة عدد المقاتلين، عدد الفرسان، مكان نزولهم، التسليح، دور النساء في المعركة، الآلات المحمولة، وقد حقق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السرية التامة في الحصول على تلك المعلومات، يتبيّن ذلك من خلال وصيته إلى الحبّاب بالذهاب سراً إلى القوم وإخباره سراً، وفي هذا دلالة واضحة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أحاط علماً بجميع مجريات المعركة قبل وقوعها.

وفي السنة الرابعة من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري[3] عيناً إلى مكة ليخبره عن قريش[4]. فيما ذكر ابن الأثير أن غرض سرية أصحاب الرجيع[5] هو تفقيه أهل هذه المنطقة في الدين وتعليمهم قراءة القرآن[6]. وفي السنة ذاتها أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبراً من السماء مفاده أن يهود بنو النضير يرمون إلى إلقاء صخرة عليه والتخلص منه، وبهذا علم صلى الله عليه وآله وسلم بما أراد القوم[7]. إن دل هذا على شيء فإنما يدل على تدخل العناية الإلهية بالاستطلاع؛ إذ إن هذه النوايا الخبيثة الخفية لا يمكن كشفها عن طريق بعث سرية استطلاع.

وفي السنة الخامسة من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حذيفة بن اليمان[8] عيناً على قريش، وأبلغه بأن يدخل في القوم وينظر ما يفعلون، ولا يحدث شيئاً حتى يأتيه[9]. جاء ذلك بناءً على المعلومات التي وردت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي تفيد بأن قريشاً وحلفائها من اليهود تعاهدوا على حرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[10]. وعلى إثره بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سعد بن عبادة [11] أميراً على سرية كي يعلم علم قوم من بني قريظة قد نقضت العهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأبلغه بأن ينظر أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؛ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه[12]. وعلى إثره بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الزبير بن العوام، فلما ذهب إليهم رآهم يصلحون حصونهم وطرقهم، وقد جمعوا ماشيتهم[13]. يبدو أن الغرض من هذه الحملات هو معرفة معلومات سرية وتفصيلية ودقيقة عن خطط عدد وعدّة قريش العسكرية والمتحالفين معها من اليهود.وفي السنة ذاتها، امتدت الساحة الاستطلاعية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أراضي الحجاز لتشمل أرض الشام؛ وذلك ليُرهب قيصر ملك الروم، إذ ذكر له بأنه في دومة الجندل[14] جمعاً عظيماً، وكان دليل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في هذه الحملة الصحابي مذكور العذري[15] فسار مذكور حتى وجد آثار النعم[16]، وعن طريق تتبع هذه الآثار عرف مواضعهم[17]. إن اهتمام

---

(1) هو الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد... الأنصاري السلمي، يُكنّى أبا عمرو، صحابي جليل، شهد بدراً وأُحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مات في خلافة عمر بن الخطاب– ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٣١٦.

(2) الواقدي: المغازي، ج١، ص٢٠٧–٢٠٨.

(3) هو عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح واسم أبي الأقلح قيس بن عصمة، كان أحد الرماة، شهد بدراً، أمره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سرية استطلاع– ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٧٧٩؛ ابن الجوزي: صفة الصفوة، تحقيق: محمد بن عبادي بن عبد الحليم وآخرون، (مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م)، ج١، ص١٧٨.

(4) الواقدي: المغازي، ج١، ص٣٥٤؛ الطبري: تاريخ ألأمم والملوك، ج٢، ص٥٤٠.

(5) الرجيع: ماء لهذيل بين مكة وعسفان بناحية الحجاز– البكري: معجم ما ستعجم، ج٢، ص٢٣٩.

(6) الكامل، ج٢، ص١٥٠.

(7) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٩٩، ٢٠٠١؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٥٥.

(8) هو حذيفة بن اليمان، واسم اليمان حسيل بن جابر، واليمان لقب، كان من كبار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو معروف بين الصحابة بصاحب سر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مات سنة ست وثلاثين من الهجرة ، وقيل خمس وثلاثين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان– ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٣٣٤ – ٣٣٥؛ ابن حجر: تهذيب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م)، ج٢، ص٢٠٣.

(9) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٥٨٠؛ ابن كثير: السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٤م)، ج٣، ص٢١٨.

(10) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص١١٨.

(11) هو سعد بن عبادة بن ديلم بن حارثة أحد النقباء، شهد العقبة والمشاهد كلها ماخلا بدر فإنه تهيّأ للخروج فلُدغ فأقام، كان يكتب بالجاهلية بالعربية ويُحسن الرمي، لذلك سُمّي بالكامل، مات بحوران من أرض الشام لسنتين ونصف من خلافة عمر بن الخطاب– ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج١، ص١٩٥ – ١٩٦.

(12) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٣، ص٢٣١ – ٢٣٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٥٧١؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١، ص٤٩١.

(13) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٤٥٧.

(14) دومة الجندل: قرية تتحكم في الطريق إلى العراق، كما تتحكم في الطريق إلى الشام، وهي بوابة فتح الشام– البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص١٨٢.

(15) ابن حجر، الإصابة، ص١٢١٧.

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بهذه المنطقة؛ كونها من المدن المهمة التي لو لم تخضع لسلطة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما استطاع خلفاؤه من بعده فتح الشام، بوصفها بوابة فتح الشام.

وفي السنة السادسة من الهجرة بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أنيس[٣]، ليستطلع له خبر قوم من الأعراب حشّدوا قوةً كبيرةً، وذلك للقيام بغزو المدينة، كي ينالوا شيئاً من غنائمها، فلما سار إليهم عبد الله قتل قائدهم، وبذلك تفرقت جموع الأعراب[٤]. وفي السنة ذاتها بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي عليه السلام إلى فدك[٥] بعد أن بلغه عنهم بأن لهم جمعاً يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فسار إليهم بالليل وكمن النهار، وأصاب عيناً لهم، وبعد استجوابه أقرّ له العين، أنه بُعث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم تمر خيبر[٦]. وفي السنة ذاتها خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم معتمراً إلى مكة، فلما وصل إلى الحليفة[٧] بعث بين يديه عيناً من خزاعة اسمه بسر بن سفيان[٨] يخبره عن قريش، فسار حتى كان بالقرب من عسفان[٩]، فأتاه عينه يخبره بأن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادّوك عن البيت[١٠]. وبهذا سلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طريقاً آخر بعيداً عن عيون القرشيين، فسار حتى وصل إلى مكان يقال له الحديبية[١١] وبذلك اطمأن إلى الإقامة به[١٢]. إن هذا التدريب الذي لقيه القادة من لدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلهم متمكنين من تولي مسؤولية إرسال قادة آخرين بدلاً عنهم في الحملة نفسها لغرض الاستطلاع، وهذا ما ذكره الذهبي، إذ قال: "بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في السنة السادسة من الهجرة عكاشة بن محصن[١٣] إلى الغمر[١٤] فنزل عكاشة على مياههم وبعث الطلائع..."[١٥]. وذكر لنا الذهبي حملة استطلاعية أخرى وللغرض نفسه المذكور أعلاه؛ ولكنها في السنة السابعة من الهجرة، إذ بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غالب بن عبد الله الكلبي إلى أرض بني مرّة[١٦] فلما دنا غالب منهم بعث الطلائع، ثمّ رجعوا فأخبروه عن جمعهم... فأقبل يسير...[١٧]. من خلال دراسة النصين الآنفي الذكر، نلاحظ استيعاب القادة لحملات الاستطلاع بكافة جوانبها، مما جعلهم متمكنين من تدريب المقاتلين على هذا الفن الحربي، لكي يستطيع هؤلاء المقاتلون من استلام أمرة الاستطلاع لاحقاً. وفي السنة ذاتها بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب إلى هوازن، فكان يسير الليل ويكمن النهار، فلما أتي الخبر إلى هوازن هربوا[١٨].

---

(١) آثار النعم: بقية الشيء من الحيوانات ليعرف أثره في الأرض– ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٥.

(٢) الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص١٤١؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٤٧٤.

(٣) هو عبد الله بن أنيس الجهني، أبو يحيى المدني حليف الأنصار، شهد العقبة وأحد وما بعدها، مات بالشام في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة أربع وخمسين من الهجرة– ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٢، ص١٣٣.

(٤) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٩؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١٦.

(٥) فدك: موضع بينه وبين المدينة يومان، وأقرب الطرق طريقها إلى المدينة– البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٢٦٨.

(٦) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٨؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٣، ص٢٦٠؛ ابن ألأثير: الكامل، ج٢، ص١٨٩.

(٧) الحليفة: موضع على ستة أميال من المدينة، وكانت منزل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا خرج من المدينة لحج أو عمرة– البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٩٧.

(٨) هو بسر بن سفيان بن عمرو بن عويمر الخزاعي، أسلم سنة ست من الهجرة، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "إذا كنّا بغدير الأشطاط لقيته عينه الخزاعي"– ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص١٦٦.

(٩) عسفان: قرية جامعة في حاضرة المسجد الحرام– البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٢٠٤ – ٢٠٥.

(١٠) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٣٠.

(١١) الحديبية: هي طرف الحرم على تسعة أميال من مكة– العمري، ابن فضل الله: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، د. ت)، ج١، ص١٢١ – ١٢٢.

(١٢) المقريزي: أحمد بن علي: إمتاع الأسماع بما للرسول الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة، ١٩٤١م)، ج١، ص ٢٨٠، ٢٨٤.

(١٣) هو عكاشة بن محصن بن حُرثانة... بن خزيمة الأسدي، كان من فضلاء الصحابة، شهد بدراً وأحد والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قتل بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بسنة في خلافة أبي بكر الصديق– ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٥٠؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٠٨٠.

(١٤) الغمر: بئر قديمة بمكة– الحموي: معجم البلدان، ج٤، ص٢١٢.

(١٥) تاريخ الإسلام، ج١، ص١٩؛ ويُنظر: ابن كثير: البداية والنهاية، ج٤، ص٥٦٦؛ السيرة النبوية، ج٣، ص٣٣٩.

(١٦) بني مرة: هم بطن من بني ذهل بن شيبان، وهم من أكثر بطون بني شيبان عدداً وسيادةً، أسلموا في السنة التاسعة من الهجرة– ابن قتيبة: المعارف، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله، (المطبعة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م)، ص٤٥.

(١٧) تاريخ الإسلام: ج١، ص٢٣٩؛ سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٩٦.

(١٨) اليعقوبي: تاريخ، ج٢، ص٤٨؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص٩٥.

وفي السنة الثامنة من الهجرة وبالتحديد في عام الفتح، حرص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أن لا يكشف نيّاته لأحد، وبذلك فقد بعث أبو قتادة بن ربعي[1] في ثمانية نفر إلى بطن أضم[2] ليظن ظان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توجّه إلى تلك الناحية، ولأن تذهب بذلك الأخبار[3]. هذا وقد كان دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها"[4]. وقد تحقق ذلك فعلاً، إذ أتى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خبر من السماء مفاده أن حاطب بن أبي بلتعه[5] قد تآمر على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو يريد إبلاغ قريش بنيّة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[6]. وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والزبير بن العوام عيوناً له في هذه الليلة كي يرقبوا له الطريق[7].

وبعد أن تم الفتح لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي السنة ذاتها بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي[8]، ليقيم متنكراً في هوازن ليعلم علمهم، ثمّ يأتيه بخبرهم، وجاء ذلك بناءً على المعلومات التي وردت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي تُفيد بأن هوازن قد جمعت الجموع، وبعثت عيوناً هدفها تقصّي أخبار المسلمين من أجل حربهم[9]، فأقام عبد الله فيهم حتى علم ما قد جمعوا من العدّة لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[10]. ويبدو أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تأكيده هذا على هوازن؛ لأن هوازن هو أبو أكبر العوائل العدنانية[11]. وفي السنة ذاتها بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعب بن عمير الغفاري إلى أطلاع[12] من الشام، بعد أن بلغه أنهم قد جمعوا جمعاً كثيراً يريدون مهاجمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[13].

استطلاع قريش تجاه المسلمين:

لم تكن قريش بعيدة عن حملات الاستطلاع، فقد قاد أبو سفيان بنفسه حملات استطلاع، وذلك في السنة الثانية من الهجرة، وقبل واقعة بدر الكبرى، إذ كان أبو سفيان قد دنا من الحجاز مقبلاً من الشام، وكانت له رغبة في أن يسمع الأخبار بنفسه، إذ كان يقود قافلة تجارية، فأصاب خبراً "أن محمداً استنفر أصحابه لك ولتجارتك"[14] وقد تم له التأكد من صحة هذا الخبر؛ وذلك عن طريق متابعة آثار إبل المسلمين، إذ أخذ من أبعار بعيري بسبس وعدي الآنفي الذكر، ففتّهما فإذا فيه النوى، فقال: هذه والله علائف يثرب[15]. ولغرض تقدير عدد المسلمين في هذه الليلة، فقد بعثت قريش عمير بن وهب الجهني[16] ليحرز عددهم، فجال بفرسه حول العسكر، ثم رجع فقال: هم ثلاثمائة يزيدون قليلاً أو ينقصون[17]. وفي السنة السادسة من الهجرة، خرج خالد بن الوليد[18] على

---

(1) هو أبو قتادة ن ربعي والمشهور أن اسمه الحارث، ويقال النعمان، وقيل إن اسمه عمرو، شهد بدراً وكان من فرسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى قال فيه: خير فرساننا أبا قتادة، شهد مع الإمام علي عليه السلام مشاهده، مات سنة أربعين من الهجرة– ابن حجر: الإصابة، ص١١٢٦.

(2) بطن أضم: هو وادي المدينة– البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٩٧.

(3) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٩٧.

(4) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٩٦؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٣٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٢١٩.

(5) هو حاطب بن أبي بلتعة اسمه مالك بن عدي بن الحارث... بن يعرب بن قحطان من اليمن، مات بالمدينة سنة ثلاثين من الهجرة– ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٣، ص٦١.

(6) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١.

(7) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٩٧ – ٧٩٨؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤١.

(8) هو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي، واسم أبي حدرد سلامة بن عمير بن أبي سلامة، من أهل المدينة، له صحبة، أول مشاهده الحديبية ثمّ خيبر، مات سنة إحدى وسبعين من الهجرة– ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص٨٨٧.

(9) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٨٠٥ .

(10) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٨٢.

(11) الطيب، محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، (دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م)، ج٢، ص٤٨٩.

(12) أطلاع: موضع وراء ذات القرى من أرض الشام– البغدادي: مراصد الإطلاع، ج١، ص٩٢.

(13) الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١١٨.

(14) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٨١٤؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٥٠؛ المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص٦٩ – ٧٠.

(15) الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٩٢؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٧٠؛ البلخي: البدء والتاريخ، ج٢، ص٧٣.

(16) هو عمير بن وهب بن خلف... بن جُمع، كان له قدر وشرف في قريش ومن أبطالها، شهد بدراً وهو كافر، عاش إلى صدر خلافة عثمان– ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٣، ص١٢٢١.

(17) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٧٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص١٤٠؛ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٦.

(18) هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله... القرشي المخزومي، كان أحد أشراف قريش في الجاهلية، والمقدّم على خيولها في الحروب، أسلم بعد الحديبية، وقيل بين الحديبية وخيبر، قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "... سيف من سيوف الله سلّه على الكفار والمنافقين"، أمّره الخليفة أبو بكر الصديق على جيوش الردّة، مات في خلافة عمر بن الخطاب سنة إحدى

رأس سرية من المشركين عيوناً على المسلمين، وأخذ يزحف بخيله حتى تمكن من مشاهدتهم؛ ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علم بالأمر هنا، لذلك استطاع أن يسلك مع المسلمين طريقاً بعيداً عن عيون القرشيين، فسار حتى وصل إلى مكان يقال له الحديبية، أقام به واطمأن إليه[1].

وفي السنة الثامنة من الهجرة لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسير إلى مكة، كتب حاطب بن أبي بلتعه كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الأمر في السير إليهم، ثم أعطاه امرأة يقال لها مزينة، وزعم غير أنها سارة مولاة لعبد المطلب، وجعل لها جُعلاً على أن تبلغه قريشاً، فجعلته في رأسها، ثمّ فتلت عليه قرونها، وخرجت به، وأتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب، فبعث علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير بن العوام، فتمكنوا من الحصول على الكتاب[2]. يُدلل ذلك على أن قريش لم تستطع الحصول على أي نوع من المعلومات في أي وقت كان قبل حركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأثناءها حتى وصوله ضواحي مكة. وهذا ما أكّده الواقدي، إذ قال: "لمّا نزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم مرّ الظهران[3]، وقد عميت الأخبار عن قريش..."[4]. وبالفعل هذا ما حصل، فعندما أراد العباس القيام بدور استطلاعي لصالح قريش، فقد جلس على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخرج إلى الأرائك[5] متخفّياً بين أوراق الشجر الكثيفة؛ كي يرى حطاباً، أو صاحب لبن ليُرسل عن طريقهم خبراً إلى قريش يُعلمهم به بمكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيأتونه ويستأمنونه"[6]، ومع هذا فإنه لم يتمكّن من إيصال خبر عن الحملة حتى وصول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبواب مكة. والحالة الأخرى هي فشل محاولة بلتعة في إيصال أخبار إلى قريش رغم دقة السرية التي استعملها حاطب كما ذكرنا، ورغم كل هذا وذاك، فقد عميت الأخبار عن قريش، ويرجع السبب في ذلك إلى تدخل العناية الإلهية التي لعبت دوراً هاماً في تحقيق النصر للمسلمين في هذا اليوم العظيم، ويبرز ذلك من خلال دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها في بلادها".يتبيّن من خلال دراسة هذا المبحث إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان النموذج الأمثل لحملات الاستطلاع، إذ قادها بنفسه، ودرّب قادته أمام أنظاره، وبذا يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدرسة العسكرية التي تخرّج منها قادة عظام، تلك المدرسة التي استعملت أرقى فنون القتال ألا وهو الاستطلاع، كما مكنت القادة من معرفة أساليب القتال كالحصار الاقتصادي والكتمان في الحملات الاستطلاعية.

المبحث الثالث

الاستطلاع العسكري في عصر الخلافة الراشدة

نهج الخلفاء الراشدون النهج نفسه الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بوصفه رمزاً للقيادة العسكرية الناجحة، فقد تعلموا منه فن القيادة الحربية واكتساب الخبرة القتالية، بوصفهم تخرجوا من مدرسته العسكرية. يتضح ذلك من خلال المراسلات بين الخلفاء وقادتهم، والتي تدل على عمق التدريب العسكري من لدن قيادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الاستطلاع في عصر الخليفة أبي بكر الصديق:

رغم انشغال الخليفة أبو بكر بحروب الردّة؛ لكن عصره لم يخلُ من توجيه قادته في مجال الاستطلاع، يتضح ذلك من خلال المراسلات بينه وبين قادته والتي تدل على مركزيته القوية. فقد كان الخليفة أبو بكر هو الذي يحدد الأهداف وينسّق العمليات العسكرية. وكان قادته على درجة عالية من الكفاءة مكنتهم من القيام بدورهم بشكل فاعل، ومن هذه الرسائل، رسالة بعث بها إلى يزيد بن أبي سفيان[7] حين وجهه إلى الشام، جاء فيها: "يا يزيد سر على بركة الله، فإذا دخلت بلاد العدو فكن بعيداً من الحملة فإني لا آمن عليك الجولة، واستظهر بالزاد وسر

وعشرين من الهجرة– ابن حنبل، أحمد بن محمد: مسند ابن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م)، ج١، ص٤١؛ ابن عبد البر: الاستيعاب، ج١، ص٤٢٨، ٤٣٠.

[1] المقريزي: إمتاع الأسماع، ج١، ص٢٨٠، ٢٨٤.

[2] الواقدي: المغازي، ج٢، ص٧٩٧ – ٧٩٨؛ ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٢؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٨.

[3] الظهران: وادي قرب مكة وعنده قرية يقال لها مرّ تُضاف إلى هذا الوادي فيقال مرّ الظهران– البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص١٤٨.

[4] المغازي: ج٢، ص٨١٤؛ ويُنظر: ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٢؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ج٣، ص٥٤٦.

[5] الأرائك: شجرة طويلة خضراء ناعمة كثيرة الأوراق والأغصان، ويقال: هي شجر من الحمض– ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٦٤.

[6] ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص٤٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٢٢١؛ ابن كثير: السيرة النبوية، ج٣، ص٥٤٦.

[7] هو يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف واسم أبو سفيان صخر بن حرب القرشي... أبو خالد الأموي، أسلم يوم فتح مكة، وكان أحد أمراء الأجناد في عهد الخليفة أبو بكر الصديق، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ولي فلسطين، مات سنة تسع عشرة من الهجرة بعد أن فتح قيسارية– ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٥٧٥ – ١٥٧٦؛ المزي، يوسف بن عبد الرحمن: تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م)، ج٨، ص١٢٨.

بالأدلاء... وإذا قدمت عليك وفود العجم... امنع الناس عن محادثتهم ليخرجوا جاهلين كما دخلوا جاهلين..."[1]. وفي رسالة ثانية بعث بها إلى خالد بن الوليد جاء فيها: "... فشاورهم فيما نزل بك، ثم لا تخالفهم... فإذا دخلت أرض العدو فكن بعيداً عن الحملة، فإني لا آمن عليك الجولة... وسر بالأدلاء وقدّم أمامك الطلائع..."[2].يتبين لنا من خلال دراسة هاتين الرسالتين أن الخليفة أبا بكر الصديق ركّز في وصاياه على اتّباع السرية التامة في معسكراته، وذلك من خلال دعوته إلى قائده يزيد بأن يمنع الناس عن محادثة العجم، وقد استعمل الخليفة أبو بكر أعظم فنون القتال، ألا وهو الاستطلاع، يتبين ذلك من خلال قوله: "... وسر بالأدلاء وقدم أمامك الطلائع..."، فعلى أساسه ترسم الخطط في الهجوم وفي الدفاع، من حيث كشف جحافل عدوه ومراكز قوته، ويدعوه أن يبحث عن مواطن الضعف في قوى العدو.

ومن الفتوحات المهمة التي حدثت في هذا العصر، الذي يتجلى فيه دور الاستطلاع بشكل واضح هو فتح الشام، وفتح العراق، ففي فتح الشام، ذلك الفتح الذي بدأت بوادره الأولى منذ عصر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك عندما بعث سرية استطلاعية إلى دومة الجندل، تلك المنطقة التي تشكّل البوابة الرئيسة لفتح الشام. وعلى هذا الأساس فقد استمر الخلفاء الراشدون في تحقيق الأهداف التي وضعها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. ومن المعارك المهمة التي برزت في هذه الجبهة بشكل واضح معركة اليرموك[3]، التي حدثت في السنة الثالثة عشر من الهجرة، فقد بعث أبو عبيدة عامر بن الجراح عيناً رومياً يعمل لديه، ليحرز عدد جيوش الروم، فلما عاد الرومي أخبر أبو عبيدة بأنه سمع القوم يذكرون أن عددهم ألف ألف، فلا أدري أهم يتحدثون بذلك لتسمع عيوننا أم لا؟ فقال له أبو عبيدة: كم يكونون عند كل راية من عساكر الروم؟ فقال: أما ما عهدت في عساكر الروم فتحت كل راية خمسون ألف فارس[4]. وعلى هذا الأساس أبلغ أبو عبيدة جيشه فقال لهم: واعلموا أن عيوني أخبروني أن عدو الله هرقل استنجد علينا من كبار بلاد الشرك... ثم قال لبعض عيونه: قم وأخبر المسلمين بما رأيت... من الجيوش الثقيلة[5]، ثم أمر أبو عبيدة عيونه من المسيحيين أن يدخلوا في عساكر الروم يجسون له خبر القوم وعددهم وعديدهم وسلاحهم[6]. وعندما أبطأ الروم عن قتال المسلمين، بعث أبو عبيدة عيونه لينظروا ما الذي أخر الروم عن القتال[7]؟ وفي الوقت نفسه كان للروم عيوناً كثفوا بها حملات الاستطلاع في جميع أنحاء بلاد الشام[8]. يتضح هنا أن للمسلمين عيوناً من الروم، وهذا ما صرح به ملك الروم، إذ قال: "أعلم أن لهم عندنا عيوناً وجواسيس... وأنا أعلمهم"[9]. وكان للروم أيضاً عيوناً في جيش المسلمين يأتون بالأخبار للملك بما يجري للمسلمين، يتجلّى ذلك واضحاً في وقعة أجنادين[10] التي حدثت في السنة الثالثة عشر من الهجرة، فقد بعث الروم رجلاً عربياً إلى المسلمين يأتيه بخبرهم، فدخل عليهم وأقام يوماً وليلة ثم عاد إليه فأخبره أن القائد خالد بن الوليد قد رتب عيونه، كي يعرفوا عن كثب أخبار الروم[11]. ومما ساعد الروم على ذلك، هو احتفاظهم بعيون يحفظون سائر اللغات[12].وبنفس الوقت فقد أتت الأخبار إلى خالد عن طريق عيونه أن جمع الروم بلغ أربعين ألفاً أو يزيدون، وأبلغ أيضاً بأن هرقل ملك الروم قد أرسل معونة لهذا الجيش[13].ومما ساعد خالد على ذلك هو احتفاظه بعيون قد أخذهم من كل إقليم، وقد اصطفاهم لنفسه، وأينما ذهب يكونون معه ليأتوه بالأخبار[14].ونظراً لكون

---

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار، م١، ج٢، ص١٠٨ – ١٠٩؛ ابن عبد ربة: أحمد بن محمد الأندلسي: العقد الفريد، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م)، ج١، ص١١٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣٧٢، ٣٧٤.

(2) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص١٩؛ ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١١٨؛ المسعودي، علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م)، ج٢، ص٣٢٠.

(3) اليرموك: موضع بالشام. البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص٢٢١.

(4) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص١٦٣.

(5) المصدر نفسه ، ج١، ص١٦٤، ١٦٦.

(6) المصدر نفسه ، ج١، ص١٦٦.

(7) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص٢٠٠.

(8) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص١٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٤، ص١٢١ – ١٢٢؛ ابن الأثير، ج٢، ص٣٧٢.

(9) الواقدي: فتوح الشام، ج٢، ص٢٥.

(10) أجنادين: موضع من أرض فلسطين، بين الرملة وجيرون- البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص١٠٦.

(11) ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص١٤٣.

(12) الواقدي: فتوح الشام، ج٢، ص٢٥.

(13) ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص١٤٣، ١٥٠.

(14) الواقدي: فتوح الشام، ج٢، ص٧٢.

جبهة الشام واسعة وتحتاج إلى معرفة الطرق والمسالك المؤدية إلى المناطق المختلفة، فقد كانت وصية خالد لأبي عبيدة؛ بأن يرسل أدلاء مع الطلائع يعرفونهم الطريق ويكونون عيوناً لهم على أعدائهم[1].

يتضح من خلال النصوص الواردة أعلاه كثافة الحملات الاستطلاعية، وقد أخذت هذه الحملات طابعاً جديداً؛ ذلك من خلال اعتماد المسلمين على عيون من الروم، فيما اعتمد الروم على عيون من المسلمين، وهذه الحالة ظهرت عند المسلمين لأول مرة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ لم يكن الإيمان قد دخل إلى قلوب بعض من أسلم بعد الفتح أو قبله بقليل، فلا غرابة أن يكونوا عيوناً على المسلمين.أما في العراق فعندما وصل المثنى بن حارثة الشيباني[2] إلى الحيرة، قام بدراسة أحوال العراق قبل أن يفكر في اقتحامها، وذلك عن طريق وضع المسلحة وإذكاء العيون، وقد ساعده في ذلك القبائل المحيطة بالحيرة[3]. ويبدو أن السبب الذي جعل المثنى يعتمد على هذه القبائل؛ كونها قريبة من حدود الساسانيين في الحيرة. ومن هذه القبائل التي اعتمد عليها هم بنو شيبان، لما لهذه القبيلة من أثر هام كونها تجاور الساسانيين، يضاف إلى ذلك معرفة بنو شيبان لمسالك العراق[4]. من هذا يتبيّن سبب اعتماد المثنى على هذه القبيلة لأغراض الاستطلاع، فضلاً عن إخلاص هذه القبيلة للمثنى كونه من بني شيبان، أي أن انتماؤه العشائري لهم.

الاستطلاع في عصر الخليفة عمر بن الخطاب:

وفي عصر الخليفة عمر بن الخطاب كان الاهتمام بأمر الاستطلاع بشكل واضح، باعتبار أن الفتوحات الإسلامية قد بلغت أوجها في عصره، ومن هنا قال الواقدي: "وقد دنا موعد صاحب الفتوح"[5]. يتبين ذلك من خلال توجيهاته إلى قواده، ففي كتاب بعث به إلى سعد بن أبي وقاص جاء فيه: "... فإذا وطئت أدنى أرض العدو فاذك العيون بينك وبينهم... وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع وتبث السرايا بينك وبينهم..."[6]. وفي رسالة أخرى بعث بها إلى أبو عبيدة عامله على الشام جاء فيها: "... إنك الشاهد وأنا الغائب، وقد يرى الشاهد ما لا يراه الغائب، وأنت بحضرة عدوك وعيونك تأتيك بالأخبار..."[7]. يتبين لنا من خلال دراسة هاتين الرسالتين أن الخليفة عمر بن الخطاب حرص حرصاً تاماً على استكشاف مواقع العدو، بقصد الوقوف على أخباره، ومعرفة مواطن القوة أو الضعف فيه، كما تؤكد على ضرورة الحصول على المعلومات عن العدو باستمرار عن طريق بث الطلائع والسرايا، وعدم القيام بأيّة عملية غير مدروسة.

ومن الفتوحات المهمة التي حدثت في جبهة الشام، نذكر أولاً فتح دمشق الذي حدث في السنة الثالثة عشر من الهجرة، جاء ذلك بناءً على الرسالة التي بعث بها أبو عبيدة إلى الخليفة عمر بن الخطاب جاء فيها: "أما بعد فإن عيوني قدموا عليّ من أرض أنطاكية[8] فخبروني بأن هرقل عدو الله قد أمر بعساكر فصرفت إلى ناحيتنا... وإنهم قد جمعوا من الجموع ما لم يجمعه أحد قط لأمة من الأمم..."[9]. ويبدو أن المسلمين لم يستطيعوا تحديد عدد هؤلاء القوم؛ ولكن خبرة أبو عبيدة بفن الاستطلاع، استطاع تحديد عددهم؛ وذلك من خلال الغبار الذي ولّده سير الخيول[10]. وعلى هذا يكون تحديد عدد العدو هنا تقريبي ويعتمد على متابعة حوافر الخيل على الأرض، من حيث أن هذه الحوافر إذا داست على الأرض بقوة وبسرعة ولّدت غباراً كثيفاً كما مرّ سابقاً. ومن هنا يستطيع العين أن يعرف ما إذا كان هذا الجيش كثير العدد أو قليل. وفي السنة ذاتها وفي موضع يقال له فحل[11]؛ استطاع خالد أن يقتحم أحصن مكان يحيط بدمشق، وأكثره ماءً، وأشدّه مدخلاً، من خلال عيونه الذاكية التي كانت لا تنام ولا تنيم، ولا يخفى عليه من أمورهم شيء، ومما ساعد خالد على هذا الاقتحام، هو الوليمة التي أعدّها أحد قواد الروم لمولود ولد له، فأكل القوم وشربوا وغفلوا عن مواقعهم، وبهذا استطاع خالد اقتحام الحصن[12].

---

(1) المصدر نفسه، ص٥.

(2) هو المثنى بن حارثة بن سلمة بن ضمضم... الشيباني، أسلم سنة تسع، ويقال سنة عشر، كان شهماً شجاعاً حسن الرأي، أبلى في حروب العراق بلاءً لم يبلغه أحد، كان الخليفة عمر بن الخطاب يسميه مؤمّر نفسه، مات سنة أربع عشرة من الهجرة قبل القادسية- ابن حجر: الإصابة، ص١١٧٣.

(3) ابن الجوزي: المنتظم، ج٤، ص١٤٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣٨٣.

(4) ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص٨٨.

(5) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص٩٣.

(6) ابن عبد ربه: العقد الفريد، ج١، ص١١٩؛ ابن الجوزي: المنتظم، ج٤، ص١٦٢.

(7) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص٣١١.

(8) أنطاكية: مدينة من الثغور الشامية معروفة، قال اللغويون: كل شيء عند العرب من قبل الشام فهو أنطاكي- البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص١٨٥.

(9) ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص٢٢٥.

(10) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص٥٠.

(11) فحل: موضع بالشام- البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٢٦٦.

(12) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٣٩؛ ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص١٨٩ – ١٩٠؛ هيكل، محمد حسين: الفاروق عمر، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ)، ص١٣٦.

وفي السنة الخامسة عشر من الهجرة بلغ أبا عبيدة بأن ماهان وزير هرقل أقبل في عساكر حتى نزل مدينة حمص[1] في مائة ألف، فاغتم لذلك، ثم دعا بعين له فقال له: سر متنكراً حتى تأتي أرض حمص، فأقبل العين حتى صار إلى حمص، فعلم ما يجري في معسكر ماهان ثم رجع إلى أبي عبيدة فأخبره[2]. وفي هذا الصدد بعث أبو عبيدة برسالة إلى خالد جاء فيها: "... نفّذ عيونك وانظر إن كان للقوم نجدة أو ناصر..."[3]. وفي السنة ذاتها أتت الأخبار إلى الروم عن طريق عيونهم بأن خيول العرب قد أتت تريد بلدة حلب[4]، ولكن مع هذا تمكن العرب من محاصرتهم، وعلى إثر هذا الحصار أتت الأخبار إلى الروم، ومفادها أن العلاّفة[5] من العرب قد خرجوا إلى الوادي، وكانوا قد صالحوا أهله؛ وذلك لأن علوفة العرب وميرتهم من هذا الوادي، وهم يقصدون القرى في طلب الميرة، وهم قليلون وليس هم في كثرة، فانتدب الروم ألف فارس لمقاتلتهم؛ ولكن أهل الوادي الذين تصالح معهم خالد أخبروه بأن الروم قدموا في ألف فارس، وأبلغوه بأن لهم في عسكركم عيوناً يخبرونه بما أنتم فيه في كل ساعة[6].وفي السنة ذاتها أقبل أبو عبيدة على خالد بن الوليد فقال له: هذا كتاب عمرو بن العاص قد ورد علينا يخبر أن الروم اجتمعوا بأرض فلسطين[7] في ثمانين ألفاً وهؤلاء عيوننا من مسيحيي الشام قد جاؤوا إلي خبروني أن أهل بعلبك[8] في عشرين ألفاً[9]، وعندما علم الخليفة عمر بذلك، استشار الإمام علي عليه السلام، فقال له الإمام: "يا أمير المؤمنين صر إلى بيت المقدس وأمر أصحابك أن يحدقوا بها"[10]، وبناءً عليه فقد بعث عمرو بن العاص الطلائع ليوافوه بمداخل العدو وعوراته؛ لكن الرسل لم تشفه، فآثر على أن يجمع المعلومات بنفسه عن عدوه معرّضاً نفسه لخطر الأسر أو القتل، فتنكر ودخل إلى حصن عدوه على أنه جندي عربي يحمل رسالة إلى قائد قوات الروم، وبهذا تأمل عمرو الحصن، وعرف مآخذه ومآتيه، وبذلك عرف ما أراد، وبناءً عليه أعد العدّة للقتال[11].

في السنة العشرين من الهجرة كان للقبائل العربية دوراً هاماً في فتح مصر، إذ قامت كل من قبيلة طي ومذحج بدور الاستطلاع لصالح المسلمين، ويرجع سبب هذه المساندة؛ كون تلك القبائل من القبائل اليمنية التي كانت لها الرياسة على العرب[12]، أي أن اتصال هذه القبائل بالمسلمين له آثاره الروحية القديمة التي تحملهم على مساندة المسلمين ضد القبط المصريين، فضلاً عن أن هذه القبائل قد تكيفت مع هؤلاء المصريين من الناحية الاجتماعية واللغوية؛ وبهذا تستطيع أن تتسلل إلى معسكرات المصريين لمعرفة جميع أخبارهم ونقلها بكل أمانة. لذا فقد تمكنوا من أن يرتدوا زي العرب المُتنصّرة كي يستطيعوا أن يختلطوا بالجيش المصري من أجل الحصول على الأخبار[13]. أما أخبار المسلمين فكانت تأتي إلى الملك المصري عن طريق ابنته أرمانوسة، إذ أتت إليها عيونها وأعلموها بأن عمرو بن العاص يُجري استعداداته لفتح مصر، وعرفوها بجميع الأخبار، وعلى هذا فقد أرسلت إلى أبيها المقوقس تُعلمه بأن العرب متوجهون مع رجل يقال له عمرو بن العاص[14].وبهذا فإن العيون التي تتسلل إلى معسكرات المسلمين تشكل خطراً واضحاً على المسلمين، لذلك كان للقادة خطط بارعة في اكتشاف تلك العيون من أجل قطع دابرهم، وقد فكر خالد في هذا الأمر، وبناءً عليه فقد جال في أحد الليالي جولة في العسكر، فعثر على رجل شكّ فيه خالد، ففكر في طريقة اختباره، وعليه وقع اختياره على قراءة القرآن والصلاة كأحد الاختبارت الهامة؛ من حيث أن الروم يختلفون اختلافاً تاماً مع المسلمين من حيث طقوسهم الدينية، فقال له خالد:

---

(1) حمص: مدينة بالشام مشهورة، وقد سميت باسم رجل من العماليق يُسمّى حِمص- البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص١٠١.

(2) ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص٢٢٨.

(3) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص١١١.

(4) حلب: مدينة مشهورة بالشام واسعة كثيرة الخيرات، سميت حلب لأن سيدنا إبراهيم كان نازلاً بها يحلب غنمه في الجمعات-البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص٤١٧.

(5) العلاّفة: هم الذين يتولون جمع العلف للدواب- الفراهيدي: العين، ج٢، ص١٢٦٨.

(6) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص٢٤٨.

(7) فلسطين: هي آخر كور الشام من ناحية مصر قصبتها بيت المقدس، ومن مشهور مدنها عسقلان والرملة وغزة... وهي الأرض التي قال الله تعالى ﴿الأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة ٢١]، و﴿الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء ٧١]- البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٤٢.

(8) بعلبك: موضع بالشام- البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٢٣٩.

(9) ابن أعثم: الفتوح، ج١، ص١٧٥.

(10) الواقدي: فتوح الشام، ج١، ص٢٢٩.

(11) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٦٠٥؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٤٦٢؛ هيكل: الفاروق عمر، ص٢٤٨.

(12) ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧م)، ج٢، ص٤٨٥.

(13) الواقدي: فتوح الشام، ج٢، ص٢٢٩؛ الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٥.

(14) الواقدي: فتوح الشام، ج٢، ص٤٥، ٤٧.

قم فصلّ ركعتين واجهر بالقراءة فيهما، فقام ليصلي فلم يدرِ ما يقول، فعرف خالد هنا بأنه عين على المسلمين، وقد أقر هو بذلك[1]. وفي أحد الأيام بعث هرقل رجلاً مسيحياً إلى العرب إذ قال له: امضِ واحزر لي عسكر العرب، واكشف لي أخبارهم فوصل إليهم، وجلس إلى قوم وهم يصطلون حول النار، فجلس بينهم يسمع حديثهم، فلما أراد القيام عثر على ذيله، فقال باسم الصليب، فلما سمعوا قوله علموا بأنه مُتنصّر عيناً للروم[2].

لم تكن جبهة الشام هي الجبهة الوحيدة التي قاد فيها الجيش العربي الإسلامي حملات استطلاع في هذا العصر، بل تعدّى ذلك إلى العراق، إذ كان للمثنى بن حارثة الشيباني دوراً هاماً في حملات الاستطلاع، فبعد أن انتهى من وقعة البويب[3] في السنة الثالثة عشر من الهجرة، نزل الأنبار[4]، استكتم صاحبها وطلب منه أن يبعث معه الأدلاء لكي يغير على المدائن[5]. فعندما زوده بالأدلاء قال لهم: اذكوا حرسكم... وأقيموا واطعموا وتوضئوا وتهيئوا، وبعث الطلائع... ليسبقوا الأخبار[6]. فيما كان سبب خسارة الجيش العربي الإسلامي في العام نفسه في قس الناطق[7] هو عدم إجراء استطلاع للفيلة المستعملة في الحرب وهي تحمل الآلات الحربية، كي تكون مألوفة بالنسبة للخيول، ولكن عندما رأت الخيول هذه الفيلة، رأت شيئاً منكراً لم تكن قد رأت مثله، مما جعلها لم تقدم للمواجهة العسكرية، فتفرقت وتفرقت معها جموع المسلمين العسكرية[8].

وفي السنة الرابعة عشر من الهجرة كان ابتداء أمر القادسية[9]، إذ تم تعيين سواد بن مالك التميمي[10] على الطلائع، كما أرسل سعد بن أبي وقاص طليحة الأسدي[11] في عشرة نفر، فلم يسروا فرسخاً وبعض آخر حتى رأوا مسالح الفرس وسرحهم على الدروب قد ملؤها... فرجعوا إلى سعد وأخبره بقرب القوم[12]. وقد حاول الفرس الهرب من هذه المناطق فتوجهوا إلى جلولاء[13] وذلك في السنة السادسة عشر من الهجرة، وتجدر الإشارة إلى أن الفرس قد استعملوا هنا مادة حسك[14] الحديد فأحاطوه بخندقهم وذلك منعاً لحملات الاستطلاع من قبل الجيش العربي الإسلامي[15]. وفي السنة الحادية والعشرين من الهجرة أخبر سعد بن أبي وقاص من قبل طليحة بن خويلد الأسدي بأن الفرس قد تجمعوا في مكان يُعرف بنهاوند[16] وقد وصلت هذه الأخبار إلى سعد في حين أن الفرس لا زالوا يجمعون جمعهم وهم بمرو أرض خراسان[17]. من خلال هذه الحملة نلاحظ التتبّع الدقيق لسير العدو من قبل المسلمين.

وفي السنة الثانية والعشرين من الهجرة قام الأحنف بن قيس[18] بمهمة استطلاعية في خراسان[19] فقد خرج ليلاً يتسمع الأخبار، تُرى هل يسمع برأي قد ينتفع به، فمر برجلين ينتقيان علفاً، وأحدهما يقول لصاحبه: لو أسندنا الأمير إلى هذا الجبل، فكان النهر بيننا وبين عدونا خندقاً، وكان الجبل في ظهورنا فلا يأتونا من خلفنا وكان

---

(1) المصدر نفسه، ج١، ص٢٥٩.

(2) المصدر نفسه، ج١، ص١٧.

(3) البويب: هو مدخل أهل الحجاز إلى مصر– البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص٢٥٩.

(4) الأنبار: مدينة معروفة، وهي حد فارس، وقد وقعت عليه المساحة: من لدن تخوم الموصل، ماراً مع الماء إلى ساحل البحر ببلاد عبادان، من شرقي دجلة؛ هذا طوله. أما عرضه فحدّه من أرض حلوان إلى منتهى طرف القادسية المتصل بالعُذيب– البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص١٨٢ – ١٨٣.

(5) المدائن: جمع مدينة، وسميت بذلك لأنها كانت مدناً كل واحدة منها إلى جنب الأخرى، والآن هي بليدة صغيرة إلى الجانب الغربي من دجلة– البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٢٤٣.

(6) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٧٤.

(7) قس الناطق: موضع بالعراق، وبها كانت وقعة للمسلمين مع الفرس، وكان على المسلمين يؤمئذ أبو عبيدة الثقفي الذي استشهد في المعركة– البكري: معجم ما استعجم، ج٣، ص٣١٣.

(8) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٣، ص٤٧٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٤٠٥.

(9) القادسية: قرية قرب الكوفة من جهة البر، بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخاً، وبينها وبين العُذيب أربعة أميال– البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٥٤.

(10) هو سواد بن مالك التميمي صحابي، كان آمراً على أول سرية خرجت لسعد بن أبي وقاص– ابن حجر: الإصابة، ص٥٥٧.

(11) هو طليحة بن خويلد بن نوفل بن فضلة... الأسدي، ادّعى النبوة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، شهد القادسية ونهاوند مع المسلمين، مات سنة إحدى وعشرين من الهجرة– ابن حجر: الإصابة، ص٦٤٦.

(12) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٤١٩ – ٤٢٧.

(13) جلولاء: موضع معروف بالشام– البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص٣٣.

(14) الحسك: هو من أدوات الحرب يُلقى حول العسكر، ربما يتخذ من حديد، وربما يتخذ من خشب– الفراهيدي: العين، ج١، ص٣٨٣.

(15) ابن الأثير: الكامل، ج٢، ص٤٧٩.

(16) نهاوند: كورة تنسب إلى الجبل وتضاف إليه وليست منه– البكري: معجم ما استعجم، ج٤، ص١٧٤.

(17) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٥.

(18) هو الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين... التميمي السعدي، واسمه الضحاك على المشهور، وقيل: صخر، ولقبه الأحنف، وهو مشهور به، أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يجتمع به، بصرياً، وكان ممن اعتزل وقعة الجمل ثمّ شهد صفين، مات بالبصرة سنة سبع وستين من الهجرة– ابن حجر: الإصابة، ص٢٥ – ٢٦.

(19) خراسان: تعني بالفارسية مطلع الشمس، والعرب إذا ذكرت المشرق كله قالوا فارس، فخراسان من فارس– البكري: معجم ما استعجم، ج٢، ص١١٨.

قتالنا من وجهٍ واحد[1]. من هذا يتبين أن القائد الأحنف قد حصل على خطة عسكرية محكمة جداً وهامة، ألا وهي وجود النهر بين الطرفين، وهذا بطبيعته ممر مائي يحتاج إلى دراسة وتهيئة الإمكانات من أجل عبوره، أما العائق الثاني فهو الجبل، وعليه يجب هنا على القيادة العسكرية أن تضع خطة لدخول قواتها وخروجها من الوجه الواحد المذكور أعلاه بحيث يجنبها خطر محاصرة المسلمين في ممرات ومسالك هذا الجبل.

الاستطلاع في عصر الخليفة عثمان بن عفان:

وفي هذا العصر استمرت سلسلة الفتوحات الإسلامية، على الرغم من أن هذه الفتوحات كانت لغرض تثبيت نفوذ المسلمين في المناطق التي انتفض أهلها[2]، يتبين ذلك من خلال رسالة الخليفة عثمان إلى قادته والتي جاء فيها: "... وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا، بل كان عن ملإ منا..."[3]. إذ تؤكد هذه الرسالة على أن الخليفة عثمان سار على الخطط نفسها التي سار عليها الخليفة عمر، وبذلك يعد عصره امتداداً لما قبله؛ ولكن مع هذا فإن هذا العصر لا يخلو من حملات استطلاع، ففي السنة السادسة والعشرين بعث الخليفة عثمان أخوه في الرضاعة عبد الله بن سعد بن أبي سرح نحو أفريقية[4]، وأبلغه ببث السرايا الاستطلاعية في كل ناحية من نواحيها[5]. وفي أول مواجهة بحرية بين المسلمين والروم في سنة ثمان وعشرين من الهجرة والتي عرفت بفتح قبرس[6]. اعتمد الخليفة عثمان على الحملة الاستطلاعية التي كان قد أجراها الخليفة عمر بن الخطاب مع القائد عمرو بن العاص من خلال وصف البحر[7]. هذا وقد كانت أغلب فتوحات الخليفة عثمان في مناطق المشرق العربي، هذه المناطق التي سبق وأن خاض فيها الجيش العربي الإسلامي حملات استطلاعية واسعة في عصر الخليفة عمر بن الخطاب.

الاستطلاع في عصر الخليفة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

أما عصر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد كان حافلاً بمختلف أنواع الفنون الحربية، يتضح ذلك من خلال وصاياه، ففي وصية له عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية، لمّا أعطاه الراية يوم الجمل، جاء فيها: "... ارمِ ببصرك[8] أقصى القوم..."[9]. وفي وصية له عليه السلام أوصى بها جيشاً بعثه إلى العدو جاء فيها: "... ولتكن مقاتلتكم من وجهٍ واحد أو اثنين، واجعلوا لكم رقباء في صياحي[10] الجبال، ومناكب[11] الهضاب لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافةً أو أمن، واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة طلائعهم..."[12]. وفي هذا دليل واضح على استمرار حملات الاستطلاع في هذا العصر، كما تُدلّل وصاياه على تدريب قادته على كيفية وضع الخطط الحربية الحافلة بمختلف أنواع الفنون القتالية.

ومن المعارك المهمة التي جرت في هذا العصر، وقعة الجمل التي حدثت في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة، إذ جعل الإمام عليه السلام عمرو بن الحمق الخزاعي[13] آمراً لسرايا الاستطلاع[14]. أما في صفين تلك الوقعة التي حدثت بينه وبين جيش الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان في السنة السادسة والثلاثين من الهجرة، إذ جعل الإمام عليه السلام شريح بن هانئ[15] آمراً على سراياه الاستطلاعية، ففي يوم أرسل الإمام عليه السلام

---

(1) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٢٩.

(2) حسن، إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي الاجتماعي، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٤م)، ج١، ص٢٥٨.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٢٤٥.

(4) أفريقية: وهي اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة قبالة جزيرة صقلية، وينتهي إلى قبالة جزيرة الأندلس، وحد أفريقية من طرابلس المغرب من جهة برقة والإسكندرية والى بجاية، فيكون مسافة طولها نحو شهرين ونصف، وقيل طولها من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الشرق إلى الغرب- البغدادي: مراصد الاطلاع، ج١، ص١٠١.

(5) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٧٣.

(6) قبرس: جزيرة في بحر الروم، وهي الآن بيد الفرنج- البغدادي: مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٦٣.

(7) ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص٧٨.

(8) ارم ببصرك: الإحاطة بجميع الأشياء ظاهرها وخافيها- ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٩٠ – ٢٩١.

(9) عبده، محمد: شرح نهج البلاغة، (منشورات الفجر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م)، ج١، ص٤٥.

(10) صياحي: ما كان حصناً لكل شيء، وكذلك القلعة التي يتحصنون فيها- عباد: المحيط في اللغة، ج٨، ص٢١٥.

(11) مناكب: الموضع المرتفع من الأرض- ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٤٥٣٥.

(12) عبده: شرح نهج البلاغة، ج٣، ص٣٨٩.

(13) هو عمرو بن الحمق الخزاعي الكعبي، له صحبة، يقال أسلم بعد الحديبية، وقيل: اسلم بعد حجة الوداع، سكن الشام ثم الكوفة، ثم كان ممن قام على عثمان مع أهلها، شهد مع الإمام علي عليه السلام حروبه، ثم قدم مصر، مات سنة ثلاث وستين الهجرة- ابن حجر: الإصابة، ص٩٦٨ – ٩٦٩.

(14) ابن أعثم: الفتوح، ج٢، ص٣٠٨؛ ابن الأثير: الكامل، ج٣، ص١٧٥.

(15) هو شريح بن هانئ، جاهلي إسلامي، يكنى أبا المقدام، له صحبة، وهو من أجلّ أصحاب الإمام علي عليه السلام- ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٢، ص٧٠٢.

شريح إلى الشام ليعرف توجه معاوية بن أبي سفيان، فبلغه أن معاوية قد أقبل من دمشق في جنود أهل الشام لاستقبال جيش الإمام علي عليه السلام، ثم تقدم شريح فأخبر الإمام علي عليه السلام بما رأى حينما بلغه الأمر من تقدم جيوش معاوية[1]. وحينما سُئل الإمام عليه السلام عن المقدمة قال: "مقدمتي تأتي من ورائي"[2]. ومن المعلوم أن المقدمة عادةً تتقدم الجيش للحصول على الأخبار، ومن ثم إيصالها إلى القائد، ولكن في هذه الحالة نلاحظ أن الإمام عليه السلام هو الذي يكون في موقع المقدمة ولديه جميع المعلومات، فهو ليس بحاجة إلى مقدمة؛ ولكن وجود المقدمة هنا ليكونوا على اطّلاع بمسير جيش معاوية، ويكونوا شهوداً على جيش معاوية الذي بادر هو بالحرب، في حين لم يكن في نيّة الإمام عليه السلام حرباً.

بعد دراسة المبحث الثالث، نستنتج منه أن فن الاستطلاع هنا قد تطور تطوراً جذرياً من حيث أن قادة الاستطلاع يتم تحديدهم في بداية كل معركة بغضّ النظر عن ورود معلومات أو عدم ورودها، والدلائل التي وردت آنفاً كثيرة. في حين استمر الاعتماد على الصحابة؛ كونهم أجدر قادة يمكن الاعتماد عليهم، وقد توضح ذلك من خلال كشف العديد من عيون الروم الاستطلاعية؛ وعلى النقيض من ذلك فقد عمل بعض من هؤلاء الصحابة لصالح أعدائهم الروم؛ ويرجع السبب في ذلك إلى أن هؤلاء الصحابة قد أسلموا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقليل، لذلك لم يكن الإيمان قد دخل إلى قلوبهم فالإسلام عند البعض منهم ظاهرياً، أما في داخله فهو يتحيّن الفرص من أجل الإيقاع بالمسلمين. هذا وقد امتدت الساحة الاستطلاعية في هذا العصر من الحجاز لتشمل أراضي الشام والعراق والمشرق كله، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة الفتوحات العربية الإسلامية في هذا العصر.

---

[1] الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٥٦٦.

[2] المصدر نفسه، ص٥٦٦.

الخلاصة

١. يعد الاستطلاع عملية هامة لوضع الخطط الحربية، إذ لا يمكن وضع الخطط دون دراسة ظروف العدو المادية والمعنوية، وقد وجد الاستطلاع في العصر الجاهلي، إلاّ أنه تطور في عصر الرسالة ، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثالاً لنمط القيادة العسكرية، فكانت استطلاعاته مدرسة تخرّج منها قادة عظام، فكانت له نظرة ثاقبة في اختيار قادة سراياه الاستطلاعية، وتدريبهم على تعلم فن القيادة الحربية واكتساب الخبرة القتالية.

٢. تعد عملية الاستطلاع ضرورية في التعرف على المناطق المحيطة بالمدينة، والمؤدية إلى مكة، خصوصاً الطريق التجاري الحيوي لقريش، الواقع بين مكة والشام، مما يهدد تجارتهم؛ وبهذا يكون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم استعمل الحصار الاقتصادي كسلاح في المعركة.

٣. استعمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حربه السرية والكتمان، وهذا ما توضح من خلال الرسائل المغلقة مع قادته، والتي برزت في الرسالة التي سلمها إلى آمر إحدى سراياه عبد الله بن جحش.

٤. اهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحملات الاستطلاعية منذ وقعة بدر، واستمرت هذه الحملات لتشمل أراضي الشام، فضلاً عن الحجاز، على عكس حملات قريش الاستطلاعية، فقد أولت قريش اهتماماً كبيراً واضحاً في بدر والثانية في فتح مكة؛ ويعود السبب في ذلك إلى أن بدر كانت تهديداً لتجارتهم، أما فتح مكة فكان تهديداً لمكانتهم. أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان هدفه نشر الإسلام في ربوع العالم آنذاك، لذلك فإن نجاح عملياته العسكرية تعد بمثابة نجاح للإسلام وترسيخ للمبادئ.

٥. تدخل العناية الإلهية في حملات الاستطلاع، وهذا ما ظهر واضحاً في العديد من الأحداث التاريخية كغزوة أحد، تآمر بني النضير، وفتح مكة.

٦. أما في العصر الراشدي فقد سار الخلفاء الراشدون على النهج نفسه الذي سار عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من حيث اهتمامهم بحملات الاستطلاع، واختيار القادة الذين يصلحون بهذه المهمة. وتجدر الإشارة إلى أن الخلفاء الراشدين استمروا في الاعتماد على الصحابة في هذه المهمة كونهم الأجدر لها. ويتضح في هذا العصر أن قادة الاستطلاع يتم تحديدهم في كل معركة مثلما يتم تحديد قائد الميمنة أو الميسرة بغضّ النظر عن ورود معلومات أم عدم ورودها.

٧. برزت في هذا العصر حالة لم تكن موجودة في عصر النبوة ألا وهي اتخاذ بعض الصحابة الذين لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم ممّن أسلموا مؤخراً عيوناً لصالح الروم ضد المسلمين.

٨. امتداد الساحة الاستطلاعية في هذا العصر من الحجاز لتشمل أراضي الشام والعراق والمشرق كله، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة الفتوحات العربية الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

القرآن الكريم .

ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م):

١. الكامل في التاريخ، تحقيق: خليل مأمون سيحا، (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م).

الأزهري، محمد بن أحمد(ت: ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م):

٢. تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٤م).

ابن اسحاق، محمد بن يسار المطلبي المدني (ت: ١٥١هـ/ ٧٦٨م):

٣. السيرة النبوية، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م).

ابن أعثم، أحمد الكوفي (ت: ٣١٤هـ/ ٩٢٦م):

٤. كتاب الفتوح، (مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الطبعة الأولى، ١٩٦٨م).

البغدادي، عبد المؤمن بن عبد الحق (ت: ٧٣٩هـ/ ١٣٣٨م):

٥. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: محمد علي البجاوي، (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م).

البكري، عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م):

٦. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: جمال طلبة، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).

البلخي، أحمد بن سهل (ت: ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م):

٧. البدء والتاريخ، تحقيق: خليل عمران المنصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م).

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: ٥٩٧هـ/١٢٠٠م):

٨. صفة الصفوة، تحقيق: محمد بن عبادي بن عبد الحليم وآخرون، (مكتبة الصفا، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م).

٩. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م).

الجوهري، إسماعيل بن حمّاد (ت: ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م):

١٠. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أميل بديع يعقوب وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م).
ابن حبيب، محمد البغدادي(ت: ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م):
١١. المحبّر، تحقيق: ايلزة ليحتن شتيتر، (المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، د. ت).
ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م):
١٢. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: حسان عبد المنان، (بيت الأفكار الدولية، عمان، ٢٠٠٢م).
١٣. تهذيب التهذيب، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م).
ابن حزم: علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):
١٤. جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٧م).
الحموي، ياقوت بن عبد الله البغدادي (ت: ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
١٥. معجم البلدان، (دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٥م).
ابن حنبل، أحمد بن محمد(ت: ٢٤١هـ/ ٨٥٥م):
١٦. مسند ابن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م).
الحنفي، أحمد بن محمد الحموي(ت: ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٦م):
١٧. النفحات المسكية في صناعة الفروسية، تحقيق: عبد الستار الفرغلي، (بغداد، ١٩٥٠م).
الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت: ٤٦٢هـ/ ١٠٧٠م):
١٨. الكفاية في علم الرواية، تحقيق: أحمد عمر هاشم، (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م).
ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت: ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م):
١٩. مقدمة ابن خلدون، (دار الكاتب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م).
الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م):
٢٠. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م).
٢١. سير أعلام النبلاء، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٧م).
الرازي، محمد بن عمر بن حسين القرشي (ت: ٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م):
٢٢. التفسير الكبير، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الرابعة، ٢٠٠١م).
الزبيدي، محمد مرتضى بن محمد الحسيني (ت: ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م):
٢٣. تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم وآخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٧م).
ابن سعد، محمد بن منيع البصري الزهري (ت: ٢٣٠هـ/ ٨٤٤م):
٢٤. الطبقات الكبرى، تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م).
ابن سيدة، علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي (ت: ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م):
٢٥. المخصص، تحقيق: خليل إبراهيم جفّال، (دار التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م).
الطبري، محمد بن جرير (ت: ٣١٠هـ/ ٩٢٢م):
٢٦. تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٦٧م).
٢٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف تفسير الطبري، تحقيق: محمود شاكر الحرستاني، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م).
عباد، الصاحب إسماعيل (ت: ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م):
٢٨. المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسين آل ياسين، (دار الكتب ، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٤م).
ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م):
٢٩. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي، (دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م).
ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي (ت: ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م):
٣٠. العقد الفريد، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٩م).
ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي (حياً سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م):
٣١. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج. س كولان وآخرون، (دار الثقافة، بيروت، د. ت).
ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله (ت: ٥٧١هـ/ ١١٧٥م):
٣٢. السيرة النبوية، تحقيق: علي عاشور الجنوبي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م).
العصفري، خلفية بن خياط (ت: ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م):
٣٣. تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: سهيل زكار، (دار الفكر، بيروت، ١٩٩٣م).
العمري، ابن فضل الله (ت: ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م):
٣٤. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، د. ت).
الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: ١٧٥هـ/ ٧٩١م):
٣٥. كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، (مؤسسة أسوة، طهران، الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ).
ابن قانع، عبد الباقي البغدادي (ت: ٣٥١هـ/ ٩٦٢م):
٣٦. معجم الصحابة، تحقيق: حمدي الدمرداش محمد، (دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م).
ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م):

٣٧. عيون الأخبار، (دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت).
٣٨. المعارف، تحقيق: محمد إسماعيل عبد الله، (المطبعة الإسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٤م).
ابن قدامة، قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي (ت: ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م):
٣٩. الخراج وصناعة الكتابة، تحقيق: محمد حسين الزبيدي، (دار الرشيد، بغداد، ١٩٨١م).
ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م):
٤٠. البداية والنهاية في التاريخ، تحقيق محمد غازي بيضون وآخرون، (دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثامنة، ٢٠٠٣م).
٤١. تفسير القرآن العظيم، تحقيق: رياض عبد الله عبد الهادي، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩٦م).
٤٢. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٤م).
ابن المثنى، أبو عبيدة معمر (ت: ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م):
٤٣. النقائض، تحقيق محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، (القاهرة، ١٩٣٥م).
المزي، يوسف بن عبد الرحمن (ت: ٧٤٢هـ/ ١٣٤١م):
٤٤. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، (مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م).
المسعودي، علي بن الحسين بن علي (ت: ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م):
٤٥. مروج الذهب ومعادن الجوهر، (دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٧م).
المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت: ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م):
٤٦. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٤٩م).
المقريزي، أحمد بن علي (ت: ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):
٤٧. إمتاع الأسماع بما للرسول الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة، ١٩٤١م).
ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري (ت: ٧١١هـ/ ١٣١١م):
٤٨. لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، (دار المعارف، القاهرة، د. ت).
منكلي، محمد بن نظام الدين (ت: ٧٨٤هـ/ ١٣٨٢م):
٤٩. الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق: محمود شيت خطاب، (المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨٨م).
ابن هشام، عبد الملك المعافري (ت: ٢١٨هـ/ ٨٣٣م):
٥٠. السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٧١م).
الواقدي، محمد بن عمر بن واقد (ت: ٢٠٧هـ/ ٨٢٢م):
٥١. فتوح الشام، (دار الجيل، بيروت، د. ت).
٥٢. كتاب المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، (مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٩م).
اليعقوبي، أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت: ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م):
٥٣. تاريخ اليعقوبي، تحقيق: خليل منصور، (دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م).

ثانياً: المراجع

حسن، إبراهيم حسن:
٥٤. تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي الاجتماعي، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، ١٩٦٤م).
خطاب، محمود شيت:
٥٥. الرسول القائد، (مكتبة الحياة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٦٠م).
عبده، محمد:
٥٦. شرح نهج البلاغة، (منشورات الفجر، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م).
علي، جواد:
٥٧. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، (مطبعة آوند دانتس، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م).
عون، عبد الرؤوف:
٥٨. الفن الحربي في صدر الإسلام، (دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م).
الطيب، محمد سليمان:
٥٩. موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية وتاريخية، (دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م).
فرج، محمد:
٦٠. المدرسة العسكرية الإسلامية، (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٨٨هـ).
هيكل، محمد حسين:
٦١. الفاروق عمر، (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٤هـ).